الروح الجديد لطلبة المدارس

كان من أهم نتائج الحرب العظمى تطور العقلية الشرقية لا سيما فيما يتعلق بالعلاقات السياسية بين الشرق والغرب فتأججت نيران الثورة فى بضعة بلاد شرقية ومن أغرب وأهم هذه الثورات تلك التى استعر أوارها بمصر سنة ١٩١٩ فقد شملت الثورة جميع أرجاء القطر من أقصاه الى أدناه ولم تقتصر على طبقة بعينها بل شملت جميع الطبقات وكان لاشتراك طلبة جميع المدارس فى تلك الحركة معنى سام من معانى الوطنية لم يفطن له القائمون بالامر حينذاك ولعمرى لقد كانت أعمالهم مما يثير الدهشة والاعجاب فقد كانوا بالامس طلبة لا هم لهم الا تحصيل العلم ولم يتوفر لاغلبهم من تجاريب الحياة الا النذر اليسير فاذا بهم فى غمضة عين رجال يجمعون شملهم ويتظمون صفوفهم ويقيمون من بينهم أولياء يخضعون لاوامرهم ويقصدون الحركة العامة بما يثبت دعائمها ويوطد أركانها وكان من جراء هذا أن اتصل الطلبة بزعماء الامة وقادتها فتولد فيهم شىء من الجراءة والاقدام والاعتداد بالنفس وتوفر لديهم مظهر من مظاهر الرجولة لم يكن مألوفاً لديهم من قبل وقد أدت فكرة عدم التعاون مع السلطة الحاكمة المسيطرة الى انقطاع الطلبة عن الدروس فترات متتالية فكانت تشكل الامتحانات فى غير مواعيدها حرصاً على وقت الطلبة وهنا بدأت فكرة الامتحانات الملحقة وقد لجأ اليها رجال التعليم بادئ ذى بدء درءاً للحيف الذى يقع على الطلبة من الفوضى التى ضربت أطنابها على جميع الاعمال وشملت بطبيعة الحال المدارس ودور

التعليم ونشأ أمر آخر عظيم الخطورة وهو الضعف والوهن اللذان تطرقا الى البيئة المنزلية فأخذ يضعف سلطان الاب أو ولى الامر وتضمحل رقابتهما حتى أصبح ذلك السلطان وتلك الرقابة فى الغالب فى حكم العدم وقد نجم عن اختلال الحياة الدراسية وضعف البيئة المنزلية أن انهار صرح الاخلاق بمصر وتقوضت دعائمه وما زلنا نعانى أثر ذلك وسنعانيه أعواماً فكان الطالب الغض الطاهر الذيل يقابل كثيراً من السوقة والرعاع بحكم الظروف الشاذة ويحتك بكثيرين من الطبقة الدنيا وأصبح يقتبس مثله الاخلاقية من بين من تصدوا للزعامة فى المظاهرات وقد كان الكثير من هؤلاء ممن انغمسوا فى الملاذ والشهوات ولا عجب فلم تكن الوطنية بمصر فى وقت من الأوقات رادعاً كافياً عن الدنايا فقد تجد الرجل يلتهب حماسة وغيرة فى سبيل القضية المصرية ويبذل النفس والنفيس لانجاحها على أنه لو تهيأ لك كشف حياته الخاصة واستكناهها لوجدت نفساً حقيرة لا تعف عن ارتكاب المحرمات وقد ألف الناس ذلك فأصبحوا لا يستنكرون أن يجمع فرد بين خطورة المنصب وفساد الاخلاق بدعوى أن فساد الاخلاق أمر شخصى لا أثر له فى المجموع وهو قول ليست فيه مسكة من الصواب ....

نقول أنه قد ترتب على كل هذا أن وضحت أمام الأمة سبل من حياة اللهو كانت خافية عليهم فاستهوتهم واندفعوا فيها وكان مما يشجعهم على هذه السبل انتشارها وأخذ الاغلبية بها . دع ما كان يرمق به « الطيبون » من نظرات السخرية والازدراء وما كان يوجه من القول الجارح فى قالب فكاهى استتبت الاحوال بعد ذلك وهدأت نوعاً وانتظمت الدراسة على

أن المستوى الاخلاق للطلبة ما زال يتدهور وينتقل من سيء الى أسوأ ومسخت الجراءة والرجولة فأضحت قحة وانقلب الكد فى تحصيل العلم الى تعنت فى التماس الوسائل التى تكفيهم مؤونة هذا الكد وقد تمخض ذلك عن توتر فى علاقات الطالب المدرسية ولا سيما علاقته مع معلمه والمعلم يبغى المضى فى سبيله المرسوم والذى يعتقد أنه يكفل فائدة الطالب ولكن الطالب يعتقد ان فى ذلك ارهاقاً له وأن واجب الوزارة أن تعامله برفق وأن تهيء له الفرص التى تعوض عليه ما ضحى به من السنين فى سبيل مصر .

ولا ريب أن علاج هذه الحالة يحتاج الى شيء كثير من الاناة وسعة الصدر والحزم ويفتقر الى تضافر بين الوزارة والمدارس والمعلمين وسنتصدى الآن فى شيء من الايجاز لبحث واجب الوزارة والمعلمين والطلبة أزاء هذا الموقف

يجدر بالوزارة أن تتبع دائما ازاء طلبتها سياسة حازمة لا يشوبها ذلك العطف الشديد الذى ينزل بها الى مستوى الضعف فتلغى بالتدريج كل الاجراءات الشاذة التى لجأت اليها فى ظروف استثنائية كالامتحانات الملحقة والكل يعلم مبلغ أثرها فى انحطاط مستوى التعليم بمصر فى السنوات الاخيرة ولا يمنع هذا أن تفكر الوزارة فى تعداد أدوار الامتحان الواحد ويسرنا أن تكون الوزارة الحاضرة ماضية فى هذا السبيل جادة فيه ويجمل بالوزارة أيضاً أن تعضد نظار المدارس وتمنحهم قسطا كبيرا من حرية التصرف فان عمل ناظر المدرسة فى الظروف الحاضرة شاق جداً ومتعب ويحتاج الى حنكة وخبرة وتأييد من جانب الوزارة ويحسن بها أيضاً أن

تولى المعلمين شيئاً من عطفها وعنايتها وأن تعمل على كل ما يحفظ هيبتهم أمام الطلبة — فليس بالغريب مثلا أن يكون بعض المعلمين قد تجاوز حدود القانون فى ظروف خاصة فتعمد الوزارة الى اذاعة منشور يحذرهم مغبة تجاوز القانون ولكن الغريب أن تسمح الوزارة بنشر هذا المنشور على صفحات الجرائد مع ما فى هذا من الحط من هيبتهم أمام التلاميذ

وكان الاحرى بها أن تذيعه سراً بطريقة ما فالمدرس لم يخرج عن كونه مربياً يعطف على طلبته عطفه على بنيه

أما نظار المدارس ومعلموها فأول ما يدركونه أنهم أمام حالة جديدة لا تجدى فيها الطرق المألوفة وأن مثل من يتمسك منهم بالقديم مثل من يتصدى لتيار جارف يبغى ايقافه مع أنه من الهين اليسير عليه أن يغير مجرى هذا التيار فى أى جهة شاء فواجبهم أن يعاملوا طلبتهم بشىء من اللين والرفق وأن يكون موقفهم ازاء أى خروج على النظام المألوف موقف الاب الحازم المشفق . وأن يشجعوا الجمعيات المدرسية على مختلف أنواعها ويتولوها برعايتهم فان هذه الجمعيات بمثابة المدارس الاخلاقية يتلقى فيها الطالب علوم مكارم الاخلاق بالعمل لا بالتلقين

والآن نجعل ختام مقالنا كلمة نوجهها لطلبة المدارس ومن يهمه أمرهم يجب أن يضع الطالب ثقته التامة فى أستاذه وأن ينظر اليه نظره الى أب واع لا يهمه الا أن يرى الطالب ناجحا فى عمله متحليا بالخصال الحميدة وأن يخضع دائما لقوانين المدرسة ولا يثور عليها بأى حال وليتذكر أن القائد فى ميدان القتال قد يودى بحياة الالوف بخطة خاطئة يمليها على مرءوسيه

ولكن لا يفكر أحد من الجند فى مخالفة الاوامر — على أن الطالب اذا تقدم الى ناظر المدرسة بمظلمة حقة فسيجد منه صدراً رحباً وقلباً رحيما — وعلى الطالب أيضاً أن يتذكر أن أول واجباته فى المدرسة هو تحصيل العلم وأن الوطنية الحقة هى أن يتقن كل منهم عمله وأن يمعن فى البحث والاطلاع فيرتقى المجموع بارتقاء الافراد وأنه اذا قدر عقلاء الأمة اشتراكهم فى الحركة الوطنية بالاضراب فلا يقرهم عاقل على الالتجاء الى هذا الاضراب فى كل مناسبة من المناسبات التافهة حتى فقد الاضراب مزيته وأصبح من وسائل اللهو أضف الى هذا ما يجلبه من الخسارة على الامة بنقص كفاءة بنيها وشبيبتها وليعلم الجميع أن الأمة قد تحتاج الى مئات من المعلمين والأطباء والمحامين والمهندسين ولكنها تكتفى بعدد أصابع اليد من الساسة المحنكين — اذاً فلنترك ساستنا يعملون فى جو هادئ ولنؤيدهم وقت الحاجة وليقصر كل منا جل عنايته على عمله ويتقنه جهد طاقته — وفق الله شبيبتنا الى الاضطلاع باعبائهم والقيام بواجبهم للسير بأمتنا المصرية فى معارج التقدم والرقى ؟

محمود على فضلى